الحسناء

الجزء الرابع — المجلد الثالث

بيروت شهر كانون الثاني سنة ١٩١٢

جورج ساند

يفعل النوابغ في الناس ما لا يفعله بقية الناس ، ويؤثرون فيهم تاثيراً يجبون به ويدهشون ، ولا غرو اذا عدّ الانسان بالف بعض الاحيان . وقد نبغ في فرنسا من نحو مئة عام كاتبة عظيمة عدّت من الطبقة الاولى بين الكتاب الفرنسويين وامتازت على بعض مشاهيرهم بعدّة امور وحسبها التفرد بكثرة التأليف حتى لم يرو التاريخ عن مثلها من بنات جنسها على ما نعلم وقد بلغت مؤلفاتها مئة وعشرين مجلداً

وهي من نسل الملوك حفيدة ارملة الكونت هورن ابن الملك لويس الخامس عشر ابنة المارشال ساكس بن اوغست الشجاع ملك سكسونيا وبولندا . ولدت في باريز سنة ١٨٠٤ وابصرت نور الوجود على شذا الزهر اثناء حفلة رقص فقال والدها سيكون السعد طالعها

ولم تلبث ان يتمت وهي طفلة ولكن والدها اورثها من اخلاقه وعواطفه ما افادها في مستقبل حياتها وساعدها على النجاح . واذ كانت امها من غير نسبة ابيها اي من عائلة لا تماثل اسرته شرفاً ومقاماً خافت جدتها عليها من ان تخلق

جورج ساند

باخلاق العامة فاخذتها الى قصرها في نوهان وربتها بين الجبال والاحراش حيث المعيشة طبيعية فنشأت على حب الطبيعة ودرست عادات الفلاحين واخلاقهم كأنها عارفة بما خبأه لها القدر فكان ذلك رأس مال لها اشغلت به رواياتها وشيدت على اساسه اركان شهرتها وجادها الحظ بمعلم على مذهب روسو في التربية من حيث ترك الاولاد الى الطبيعة وتحبيبهم بها وتنبيههم الى التعلم منها واستفادت منه علاوة على ذلك نتائج اختباراته في العلم اذ تقلب في حياته بين دفتي الاكليريكية والسياسة وتولى رئاسة دير ومشيخة قرية

وكانت هي عصبية المزاج سريعة التأثر تصيبها نوب الاغماء وترى رؤى تتجلى لها كأنها حقائق فلا تتخدع بها بل تعلم انها هواجس وخيالات

فبقيت في نوهان الى ان بلغت العام الثالث عشر من عمرها ثم عادت الى باريز ودخلت دير الراهبات الاوغستينيات ومكثت فيه سنتين لم تخرج فيهما الى خارج اسواره . ولولا سلاسة طبعها ولين عريكتها لما استطاعت تحمل هذا التناقض السريع بين المعيشتين

واول مرة غادرت فيها الدير كان رجوعها الى قصر جدتها حيث عادت الى ركوب الخيل والصيد والتنقل بين الغابات والجنائن والتأمل في الطبيعة ومسامرات الفلاحين واستطلاع اخبارهم . وعكفت على الدرس والمطالعة ولم تكتفِ بالروايات الفكاهية والتافهة بل تعمدت اقسى المواضيع واسماها واستمدت انوار المعارف من كتب اعظم الفلاسفة مثل ارسطو وليبنتز وامثالهما ومع وجودها في القرية بين السذاجة والغباوة عرفت كيف تستفيد من ثمار العقول وان حرمت من اولئك الناس العشراء المستديرين والندماء المهذبين لم تعدم من الكتب معاشرة العلماء والمفكرين ودامت على هذه الحال الى ان توفيت جدتها

فعزمت على الرجوع الى ذاك الدير حيث تركت لها صديقات تبادلن واياها الوداد ولم يكن الفراق ليزيله من نفوسهن

على انها كانت قد تركت الزهد جانباً ورأت ان التدين الصحيح لا يقضي بالانقطاع عن العالم ولا يستلزم اهمال الدنيا ولكن يظهر انها شعرت بوحدة بعد وفاة الجدة لم تحتملها نفسها فآثرت الدير على القصر . وكادت تذهب لو لم يحل دون ذلك اصحابها الذين صرفوها نهائياً عن هذا العزم

فاقترنت بالبارون دي دفان ورزقت ولدين صبياً وبنتاً ولكنها لم تستطع العيش مع زوجها الا بشق النفس لاختلاف اخلاقهما وتباينهما وكان هو اولاً قائداً في الجيش ثم تفرغ الى الزراعة واعتنى بها كل العناية وصار يهتم بارضه ومواشيه اكثر مما يهتم بزوجته وولديه فصبرت على مضض جفائه الى ان عيل منها الصبر فاتفقت واياه على الهجر وتركت له املاكها على ان يدفع لها ثمانين ليره في العام واخذت ابنها وقصدت باريز لتشتغل وتاكل خبزها بعرق جبينها

واذا كانت ميالة الى الادب اخذت تكتب مقالات في جريدة الفيغارو ببدل زهيد لم يتجاوز في الشهر ثمانين غرشاً والفت هي واحد محرري الجريدة رواية سمياها روز وبلانش ونشراها باسم جول ساند وهو مشتق من اسم المحرر ثم الفت رواية ثانية لم يشأهذا مشاركتها فيها فنشرتها باسم جورج ساند وعرفت بهذا الاسم من ذاك الحين واشتهرت به حتى نسي اسمها الاول اسيے ارمنتين لوسيل اورور

وكانت هذه الرواية فاتحة امامها باب الشهرة والمجد بل مرقيتها الى اوجهما دفعة واحدة سمتها انديانا واصدرتها في زمن ملّ ابناؤه من مطالعة الروايات التاريخية ولم تكن روايات بلزاك بلغت مقامها الاخير فتهافت الناس عليها

ورأوا فيها بصورة مجسمة حية مثال حب روسو وتصوّر برناردين وعظمة شاتوبريان فاحلوا مؤلفتها المحل الارفع من الاعتبار وكان جول ساندو اول معتذر عن جهله فضلها واقتدارها حتى العلماء اهتموا بها وبحثوا عنها ووفوها ما تستحق من الاكرام

وبعد شهرين نشرت رواية فالنتين واصفة فيها مرارة الزاوج بلا حب وما تعاني المرأة من الشقاء باقترانها بمن لا تحب فادهشت بما ابدت من سمو الفكر وحسن الوصف وتصوير مشاهد الطبيعة

واخذت تتوالى رواياتها واحدة بعد الثانية وهي مملوءة من الافكار والمبادئ المختلفة في الادب والسياسة والدين والفلسفة وفي الاخلاق والاجتماع وغير ذلك من شؤون الناس حتى بلغ مجموع ما الفته مئة وعشرين مجلداً كما تقدم

وقد اثرت احوالها في نفسها تاثيراً عظيماً وعلمتها مسائل قلت العالمات بها كأنها كانت مدارس مخصوصة لها لتعلم فيها ما تعلمه للناس ليستفيدوا منه . وما اعظم مدرسة العالم

وبقيت في باريز الى ان صار اسمها علماً فعادت الى نوهان متبوئة ذرى المجد الادبي وجعلت قصرها ناديًا لاهل العلم والفضل من الفلاسفة والكتاب يقضون فيه اياماً على الرحب والسعة . كأنهم في جنان الخلد مقيمون

ودامت على هذه الحال من الكتابة والتأليف ومساجلة العظماء الى ان توفيت سنة ١٨٧٦ . وقد بلغ من اهتمام الناس بها وبما كتبت ان القواعدّة كتب في انتقاد رواياتها زادتها شهرة ومجداً وقد فضلها سانت بيف النقاد المشهور على بلزاك وجعلها ككاتبة اعظم منه